أخلاق الحرب العادلة عند مايكل والزر(*)

إعـــــداد

د/ سماح عبد الحكيم سيد مصطفى

مدرس فلسفة القيم

قسم الفلسفة والاجتماع- كلية التربية جامعة عين شمس

(*)مايكل والزر Michael Walzer (1935م-....) فيلسوف امريكي ليبرالي وهو أحد فلاسفة مذهب الكوميونات وهو اتجاه في الفلسفة الاجتماعية والسياسية وهو يؤكد علي اهمية دور المجتمع في الحياة الاخلاقية, من أهم مؤلفاته : الحروب العادلة وغير العادلة Just and Unjust Wars 1977م وكتاب "مجالات العدالة 1983م, Spheres of justice وغيرهما من المؤلفات: انظر:
(حمدي عبد الحميد محمد: مفهوم العدالة عند مايكل والزر, رسالة ماجستير, كلية الاداب, جامعة سوهاج, 2012م.)

المستخلص :

مع نهاية الصراع الأيديولوجي بين المعسكرين الشرقي والغربي, أصبحت الحروب تُشن نتيجة الاختيار أكثر منها للدفاع عن الأراضي, ومن هنا ظهرت حاجة ملحة لوضع اخلاق للحرب, فظهرت نظرية الحرب العادلة وهي ذلك الإطار الذي يتضمن مجموعة من القيم والضوابط والمعايير التي تحدد في مجموعها ما هو عادل وما هو غير عادل بالنسبة للحرب, سواءً علي مستوي شنها ابتداءً أو علي مستوي إدارة عملياتها بعد اندلاعها فعلاً, وتعتبر فكرة الحرب العادلة دعوة الي السلام وتقليل الصراعات بين الدول, ففي مقابل الحرب هنالك تصور للسلام أو النزعة السلمية.

فالحرب هي آفة الانسان, ولقد أهتم والزر بقضية الحرب العادلة محاولاً البحث عن قواعد ومعايير لجعل الحرب عادلة بعيداً عن فكرة الحرب المقدسة أو المبررات الدينية للحروب, فتكون الحرب عادلة إذا كانت تدافع عن قضية مقبولة, وصادرة عن هيئة تشريعية, وتكون بعد فشل كافة الحلول السلمية, إذا توافرت تلك الشروط تكون الحرب عادلة.

وعلي الرغم من أن والزر جعل عنوان كتابه الأشهر "الحروب العادلة والحروب غير العادلة" إلا أنه أقر أن العمل السياسي قد يتطلب بعض الأفعال غير الاخلاقية لتحقيق المصلحة العامة للمجتمع, وعقب أحداث 11 سبتمبر 2001م أصدر مايكل والزر رفقة ستين اكاديمياً امريكياً بياناً بعنوان "لماذا نحارب" رسالة من امريكا" أوضح البيان آراء فكرية وقيم أساسية تمثل وفقاً لهم أفضل ما في الولايات المتحدة الامريكية إنها القيم التي ذهبت امريكا الي الحرب من أجلها.

الكلمات المفتاحية: (الحرب, الحرب العادلة, الاخلاق, والزر)

Abstract:

With the end of the ideological conflict between the Eastern and Western camps, wars began to be waged as a result of choice rather than to defend territory. Hence, an urgent need emerged to establish ethics for war, so the theory of just war emerged, which is that framework that includes a set of values, controls, and standards that together determine what is just. What is unjust about war, whether at the level of waging it initially or at the level of managing its operations after it actually breaks out, and the idea of a just war is considered a call for peace and reducing conflicts between countries. In contrast to war, there is a perception of peace or pacifism.

War is the scourge of man, and Walzer was interested in the issue of just war, trying to search for rules and standards to make war just, away from the idea of holy war or religious justifications for wars. So war is just if it defends an acceptable cause, is issued by a legislative body, and occurs after the failure of all peaceful solutions. If these conditions are met, the war will be just.

Although Walzer titled his most famous book "Just Wars and Unjust Wars," he acknowledged that political action may require some immoral actions to achieve the general interest of society. Following the events of September 11, 2001, Michael Walzer, along with sixty American academics, issued a statement entitled "Why We Fight." "A Message from America" The statement explained intellectual opinions and basic values that, according to them, represent the best of the United States of America. They are the values for which America went to war .

Key words(War, just war, morals, Walzer).

تمهيد:

مع نهاية فترة الصراع الأيديولوجي بين المعسكرين الشرقي والغربي, وإنهيار الاتحاد السوفيتي أصبحت الحروب تُشن نتيجة الاختيار أكثر منها للدفاع عن الأراضي, ومن هنا ظهرت حاجة ملحة لوضع اخلاقيات للحرب, وتعتبر الحروب معضلة اخلاقية تحمل جملة من الحقائق والارتدادات السلبية, فلقد تحملت البشرية مشقة العديد من الحروب التي نتج عنها العديد من الدمار والخراب والقتل والتعذيب للجنس البشري, والمؤسف أن هذا القتل كان من نفس الجنس, فالإنسان هو من يحارب الانسان, أي أنها حروب داخل الجنس الواحد وليست بين جنس وآخر, فحينما تفكر في الحربين العالميتين الاولي والثانية, وتري معظم دول العالم تتصارع مع بعضها والبشر يقتلون بعضهم البعض, وصور الاطفال والقتلي والمصابين في كل مكان, تشعر وكأنك تتحدث عن كائن متوحش لم تغير الحضارة والمدنية من طبيعته الحيوانية شيئاً, وحتي في العصر المعاصر هناك العديد من الحروب والصراعات في بقاع شتي من الكوكب, وهذا يجعل من موضوع الحرب ومحاولة وضع بعض القيود التي تمنع شن الحروب أمراً ضرورياً, بل ووضع مجموعة قواعد تحدد التعامل السليم بين البشر بعضهم البعض حتي في حالة الصراع والحرب مطلباً أكثر ضرورة.

وعلى مدى قرون عديدة تطورت أفكار حول أخلاق الحرب والسلام والقواعد الأخلاقية التي يجب توافرها لكي تكون الحرب عادلة من المنظور الأخلاقي كما كانت هناك محاولات لإيجاد أساس وسطي معقول بين مذهب "المسالمة" الذي يرفض تبرير الحرب بشكل مطلق ومذهب " العنف" الذي يبرر استخدام القوة واللجوء إلى الحرب بشكل مطلق وقد نشأ من جراء ذلك ما يُعرف بنظرية الحرب العادلة Just War Theory وهي النظرية التي تبرر استخدام القوة واللجوء إلى الحرب استناداً إلى أسس ومبررات

أخلاقية معينة, أي أن استخدام الدولة للعنف يُعد مشروعاً شريطة أن تكون الأهداف عادلة وأن تكون الوسائل التي تستخدم في الحرب مُقيدة.

وتواجه الدول أزمة اخلاقية, إذا شعرت بخطر خارجي يهدد مواطنيها فإنها أمام أمرين:

- الأول: ان تتدخل وتحاول منع هذا الخطر, وهذا يتطلب التدخل في حدود دولة أخري وهذا يسمي اعتداء عليها, ويعتبر اعلان الحرب.
- الثاني: ان لا تتدخل الدولة وتحاول منع هذا الخطر الذي قد يهدد مواطنيها وهنا تتهم الدولة وحكومتها بأنها لا تبالي بمصلحة مواطنيها, وهنا يكون ذلك مبرراً لوجود فوضي داخل الدولة.

ولم تكن فكرة الحرب العادلة مجرد مجموعة جامدة من المبادئ ولكن هي تعتبر طريقة في التفكير في موضوع الحرب, تطورت وظهرت نتيجة الدمار والخراب الذي ساد العالم أكثر من مرة بسبب الحروب العديدة التي خاضها العالم–وليس الواقع منا ببعيد– والآن يدفع العالم ضريبة الحرب الروسية الأوكرانية, تلك الحرب التي أثرت علي العديد من الدول, علي شتي المستويات الاجتماعية والاقتصادية والغذائية وغيرها, مما جعل من طرح فكرة الحرب العادلة, ومحاولة وضع اخلاقيات للحروب أمراً ضرورياً.

ومنذ صدور كتاب الفيلسوف " مايكل والزر Michael Walzar عام 1977م بعنوان " الحروب العادلة والحروب غير العادلة" اتجهت العديد من الدوائر الفكرية والسياسية الي نشر خلفية منهجية ومنظور فكري يتعامل مع فكرة" حق التدخل الإنساني" وفقاً للفكر اللاهوتي الوسيط, تتم وفق تلك الرؤية إعادة بناء العلاقات الدولية مرة أخري.

وتأسيسا علي ذلك تحاول تلك الورقة البحثية باستخدام المنهج التحليلى النقدى بالاضافة إلى المنهج التاريخي المقارن مناقشة امكانية وجود مبادئ اخلاقية للحروب, وذلك من خلال الإجابة علي العديد من التساؤلات: ما الحرب؟ ما الاخلاق؟ هل الحرب أمراً فطرياً؟ أم مكتسب؟ هل ثمة أساس لاهوتي للحرب العادلة؟ وكيف رأي والزر عدالة

الحروب؟ وما الرؤية المستقبلية للحروب في العالم؟ وما مدى اتساق رؤية والزر فى طرحه ومعالجته؟ وإلى أى مدى تتسق رؤيته الفلسفية حول الحرب العادلة مع الواقع المعاش؟

والسؤال الرئيس لتلك الورقة البحثية هو: ما تصور والزر للحرب العادلة؟

وسوف يتم الاجابة عليه من خلال الكشف عن:

الحرب والطبيعة البشرية.

الاخلاق والسلام.

رؤية والزر للحرب العادلة.

أولا: الحرب والطبيعة البشرية:

الحرب نقيض السلم وهي لفظ مؤنث وتصغيرها حُريب بغير هاء, فالحرب هي العداوة ويقال أنا حربٌ لمن حاربني: أي عدو وقوم حرب كذلك, وهي العداوة والتي تدفع الي إنهاء حالة السلم وإعداد العدة بإحداد السلاح والشدة في القتال ونهب الأموال([1]) فالحرب تُحمل علي معني القتل والهرج والسلب والنهب, وجمعها حروب, ويقال حَرَبه حرباً أي سلبه جميع ما يملك, ورجل حَرِب أي شديد الغضب, فالحرب تعني الويل والهلاك علي المستوي اللغوي.

معني ذلك, أن معني الحرب هو دمار وخراب واعتداء من فرد علي فرد آخر, أو من دولة علي دولة أخري, وهذا الاعتداء يتم استخدام فيه كل أشكال العنف والتخريب لتحقيق المكسب والفوز بالحرب, تلك إذن هي الحرب, إنها اعتداء أو عدوان علي الآخر سواء كان فرداً أو دولة:

([1])ابن منظور: لسان العرب, المجلد الأول, دار صادر, بيروت لبنان, ب.ت. ص302-303

والسؤال إذن: هل هذا الاعتداء فطرياً أم مكتسب؟

اختلفت الآراء الفلسفية حول مكانة الحروب من الطبيعة البشرية, بين من يري أن الانسان نشأ وداخله ميل فطري للحرب والصراع مع الآخر, أي أن الانسان عدو لأخيه الانسان, وعلي الجانب الآخر, من الفلاسفة من رأي ان الانسان كائن اجتماعي لا يميل الي الحرب, بل يسعي دائماً الي السلام والهدوء الداخلي والخارجي, وتكمن أهمية هذا التساؤل في ان اعتبار العدوان والحرب أمراً فطرياً عند البشر سوف يجعل عملية تعديله أو التحكم فيه أمراً صعباً وشاقاً, ويصعب من دور المعايير الاخلاقية في ضبط تلك القوة الفطرية, أما القول بأن سلوك العدوان عند الانسان هو أمر عارض ومكتسب يجعل ثمة امكانية كبيرة لتعديل ذلك السلوك, وسوف نعرض لأهم الآراء التي تناولت الطبيعة البشرية ومكانة الحرب داخلها:

يعتبر ابن خلدون الحرب نتاجاً اجتماعياً ويسميها "بالملك" أي التغلب والحكم والقهر فيقول: " أن العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع عليه, وقدمنا ان الآدميين بالطبيعة الانسانية يحتاجون في كل اجتماع الي وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض, فلابد أنه سيكون متغلباً عليهم بتلك العصبية وإلا لم تتم قدرته علي ذلك وهذا التغلب هو الملك وهو أمر زائد علي الرئاسة لان الرئاسة إنما هي سؤدد وصاحبها متبوع وليس له عليهم قهر في احكامه واما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر, وصاحب العصبية إذا بلغ رتبة طلب ما فوقها وإذا بلغ رتبة السؤدد والاتباع ووجد السبيل الي التغلب والقهر لا يتركه لأنه مطلوب للنفس ولا يتم اقتدارها عليه الا بالعصبية التي يكون متبوعا." ويخصص ابن خلدون فصلاً كاملاً من فصول الباب الثالث للحروب يتكلم فيها عن منشأة الحروب ويشرح ماهب الامم في ترتيبها ببيان اصل الحروب, وحسب قوله ان الحر أمر وارد في البشر

- "الحياة صراع مستمر, والسياسة صراع مستمر من أجل السلطة, والأمير يعلن أن زمن الدولة هو زمن القوة"([1])

لخصت تلك العبارة أفكار ميكافيللي(*) حول طبيعة اجتماع البشر مع بعضهم البعض, فهدف الأمير هو الحفاظ علي استمرارية الدولة والسبيل الوحيد لذلك هو السلطة وتدعيم السيادة وهذا يكمن أساساً في القوة, فنصل الي الحكم بالقوة, ونمارسه بالقوة, ونحافظ عليه بالقوة, ويمارس الأمير العنف والشراسة والقتل وهي شروط تضمن وجود الدولة واستمراريتها, وأساس قيامها, تلك هي الحقيقة البشعة التي استخلصها مكيافيلي من الأمير.

- ويري نيتشه (*) أن الحرب ظاهرة اجتماعية, فالحرب كإرادة قوة تعبر عن السيطرة والتملك والتسلط والإخضاع, فكأن الحياة ليست إلا ارادة استيلاء علي الآخر, طابعها المميز هو الهيمنة علي ما للآخر, فالعالم علاقات قوي وكل

([1]) ميكافيللي: الامير, ترجمة فاروق سعد, منشورات دار الاتفاق الجديدة, بيروت, لبنان, 1979م,ص176.

(*) نيكولو دي برناردو دي ماكيافيلّي (3 مايو 1469 – 21 يونيو 1527) ولد وتوفي في فلورنسا, كان مفكراً وفيلسوفاً سياسياً إيطالياً إبان عصر النهضة, أشهر كتبه على الإطلاق, كتاب الأمير, والذي كان عملاً هدف مكيافيلي منه أن يكتب نصائح للحاكم, نُشرَ الكتاب بعد موته, وأيد فيه فكرة أن ما هو مفيد فهو ضروري, والتي كان عبارة عن صورة مبكرة للنفعية والواقعية السياسية. أنظر: https://cutt.us/i70Se

*نيتشه: Friedrich Nietzche, : ولد في روكن ببروسيا في (15 تشرين الاول 1844م)ومات في (25 آب 1900م) له العديد من المؤلفات منها: "مولد المأساة من روح الموسيقي"(1872م), "الفجر"(1881م),"العلم المرح"(1882م),"هكذا تكلم زرادشت"(1883م),"ما وراء الخير والشر"(1886م),"جينالوجيا الأخلاق"(1887م),"انسان مفرط في الانسانية"(1887م),"عدو المسيح"(1888م),"إرادة القوة"(1884م–1888م),"هذا هو الانسان"(1888م). (أنظر: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة, دار الطليعة, بيروت, 1987م, ص677.)(وأيضاً: عبد الرحمن بدوي: نيتشه, خلاصة الفكر الاوروبي, سلسلة الفلاسفة , ط5, وكالة المطبوعات, الكويت, 1975م.)

قوة تتعامل مع القوي الأخري علي انها موضوع رغبتها, فالحرب بين القوي هي القاعدة, أما التصالح أو السلم الذي نلحظه بينها في بعض الاحيان فليس إلا مؤقتاً بين ارادات متساوية تظل تترقب وتتربص للتوثب علي غيرها عندما تتاح لها ادني فرصة.([1])

فصراع البقاء والتوسع دعامة وقوام إرادة القوة(ارادة الكفاح والمقاومة وكلما كثرت المقاومة واشتدت الخصومة عظمت ارادة القوة, فإرادة القوة هي ارادة الخطر ارادة المغامرة والمخاطرة والمجازفة والانسان ليس له من القيمة إلا بقدر ما يحصل ويستولي علي أكبر قدر من القوة, فجوهر الحضور الانساني هو ارادة القوة لا ارادة الحياة, ومرجع ذلك الي أن "ارادة الحياة لا وجود لها وليس للعدم ارادة, كما ان المتمتع بالحياة لا يمكنه ان يطلب الحياة, ولا ارادة إلا إرادة القوة حيث تتجلي حياة, ومع هذا فإن ما أدعو اليه إن هو إلا ارادة القوة لا ارادة الحياة".([2])

ويقول نيتشه" الاستغراق في الأخلاق يضع الروح في مرتبة أدني, ويجعل الفرد مفتقراً الي دافع التميز والشعور بالحرية"([3]) فالإنسان الأعلي ليس انساناً طيباً يخضع للقيم الأخلاقية المعترف عليها– التقليدية– أو يحاول تحقيق الخير وتجنب الشر, بل هو انسان يسعي الي مزيد من الحيوية في كل شئ([4]),"فعيشوا في حالة حرب مع أشباهكم

([1])عبدالرحمن بدوي: نيتشة, مرجع سابق, ص89.

([2]) نيتشة: هكذا تكلم زرادشت,الانتصار علي الذات, ترجمة فليكس فارس, دارالقلم, بيروت لبنان, ب.ت,ص198

([3])Nietzsche, F: The will of power, Trans, by : W. Kaufman and R.J. Hollingadable, Random House, Inc, Vintage Books ed. New York , 1968, P 469.

([4]) فؤاد زكريا: نيتشة, ط3, دار المعارف, القاهرة, 1991م, ص 102.

ومع انفسكم, كونوا قطاع طرق وفاتحين ما لم تستطيعوا ان تكونوا مهيمنين وملاكين"([1]) في حين يكون السلام هو بمثابة فترة استراحة فقط, فيقول" احبوا السلام كوسيلة لتجديد الحروب, وخير السلام ما قصرت مدته, إنني لا أشير عليكم بالسلم بل بالظفر, فليكن عملكم كفاحاً, وليكن سلمكم ظفراً." ([2])

ونخلص الي, ان الحياة الانسانية –عند نيتشه–عبارة عن حرب, فالحروب والخطر المحدق هو الذي يجعل الانسان حراً, وقادراً علي تجاوز ذاته والعلو عليها, وكذلك تجاوز الآخرين أيضاً, وكان نيتشه أقرب الي القول ان الصراع والحرب أمراً مفطور في النفس البشرية الطبيعية, لذا هو لا يريد ان يتقيد الانسان بأي نوع من القواعد الاخلاقية التي تقيد من حريته, فالانسان طوال حياته في حالة حرب, ولكن أي نوع من الحرب؟ إنها حرب لا تتوقف أبداً, حرب مع الذات, وحرب مع الآخر:

- **فالحرب مع الذات:** تهدف الي تدمير الأصنام التي ظل الانسان عبداً لها علي مر العصور, وتحرير الذات لتصل الي الحرية الانسانية والابداع, وان يصل الانسان الي مرحلة الانسان الأعلي.
- **أما الحرب مع الآخر:** للتخلص من الآخر الضعيف, ويكون البقاء للإنسان الأعلي فعلاقة الانسان بالآخر لابد ان تكون خالية من أية عاطفة, أو تعاطف, أو شفقة, لأن تلك المشاعر في تصور نيتشه غير حقيقية, وتضعف من الذات.

([1]) نيتشه: العالم المرح , ترجمة حسان بوريقية ومحمد الناجي, أفريقيا الشرق, الدار البيضاء, د.ب. ص169.

([2]) نيتشة: هكذا تكلم زرادشت,مرجع سابق, ص72.

توماس هوبز، في فلسفته السياسية، يقدم مفهومًا مركزيًا حول طبيعة الإنسان والحرب. في كتابه "الليفياثان(Leviathan) "، يطرح هوبز رؤية متشائمة للغاية عن طبيعة الإنسان في حالته الطبيعية، أي عندما لا توجد سلطة مركزية لفرض النظام. وفقًا لهوبز، الإنسان بطبيعته شرير وسعيه نحو القوة والمصلحة الذاتية يؤدي إلى الصراع والحرب المستمرة.

مبررات الحرب عند هوبز :الحالة الطبيعية: هوبز يعتقد أن في غياب السلطة السياسية، يعيش الناس في حالة "حرب الجميع ضد الجميع .(War of all against all) "في هذه الحالة، حيث لا يوجد قانون أو سلطة لضبط التصرفات، يسعى كل فرد لتحقيق مصلحته الشخصية بأي ثمن، مما يؤدي إلى صراعات متواصلة. في هذه الحالة، يفقد الناس الأمن ولا يجدون أي ضمانات لحماية حياتهم أو ممتلكاتهم[1].

الدوافع البشرية: وفقًا لهوبز، هناك ثلاثة عوامل رئيسية تدفع الناس نحو الصراع:

الرغبة في المكسب: سعي الإنسان لتحسين وضعه الشخصي يدفعه إلى التنافس مع الآخرين.

الخوف: الخوف من فقدان الممتلكات أو الحياة يدفع الأفراد للدفاع عن أنفسهم باستخدام القوة.

الشرف: الرغبة في الحفاظ على كرامتهم وحمايتهم من الإهانة قد تؤدي أيضًا إلى العنف والصراع.

البحث عن السلطة: هوبز يرى أن البشر يسعون إلى السلطة والموارد لأنهم يعتبرونها ضرورية لتحقيق الأمن الشخصي والراحة. هذا السعي يتسبب في تصاعد التوترات بين الأفراد والمجموعات.

(1)- Hobbes, Thomas. "Leviathan." Edited by Richard Tuck, Cambridge University Press, 1996 (or other relevant edition)

معني ذلك أن غريزة الحفاظ علي البقاء والعنف والحرب هي استعداد موجود داخل الفرد، وهذا ما أكده ميكافيللي في تحقيق رؤية الأمير, وتحقيق الانسان الاعلي عند نيتشه, وطبيعة الحياة عند ابن خلدون, وغيرهم, هي جوهر الانسان وشرط امكان وجود الانسان بما هو كائن بيولوجي, وبالتالي يصطدم الانسان بإنسان آخر يسعي الي تحقيق رغباته والحفاظ علي بقائة ومن هنا كانت الحرب أمراً ضرورياً عند بعض الفلاسفة, ولكن يبقي السؤال هل ثمة امكانية للخروج من تلك الضرورة؟

الاجابة: بالإيجاب, وذلك من خلال نشر السلام, فقد ظهرت فكرة السلام كبديل لفكرة الحرب, ومحاولة من الانسان لكي يتعايش مع أخيه الانسان, وتتحول فكرة "الانسان ذئب لأخيه الانسان" إلي فكرة "الانسان أخ للانسان" وتلك الدعوة للسلام ظهرت عند العديد من الفلاسفة والمفكرين أيضاً:

فالدعوة الي السلام العالمي ترجع في بذورها الي مرحلة ما بعد تكوين القبائل والعشائر حيث فرضت الظروف الطبيعية للحياه أنه إذا كان لقبيلة ما ان تعيش حية آمنة ومستقرة فعليها ان تسعي للسلام بين افرادها من ناحية وبينها وبين القبائل المجاورة لها من ناحية أخري, وقد كونت بعض هذه القبائل ما يعرف بالولايات وقد اندمجت الدول أو المدن في الامبراطوريات التي كان ينبغي ان تتعايش مع بعضها بعضاً من خلال السلام

العالمي الذي كان من دعاته من القدماء الرواقيون* الذين نادوا بالمدن التي تضم جنسيات عالمية مختلفة وكانوا يعتبرون الكون نظاماً إلهياً.([1])

وتعتبر فكرة الحرب العادلة هي دعوة الي السلام وتقليل الصراعات بين الدول, ففي مقابل الحرب هنالك تصور للسلام أو النزعة السلمية والدعوات للسلام تكررت علي مر العصور: ففي القرن الرابع عشر الميلادي دعي (بيار 1412م–1490م) الي احلال السلام بين الدول, وتبعه في هذا التوجه القديس (دي سان بيير 1737م–1814م) في كتابه مشروع للسلام الدائم في اوروبا سنة 1713م, الذي اقترح كونفدرالية بين الدول الاوروبية مدعومة بمؤتمر دائم وان كان روسو (1712–1779م) في كتابه (الاعترافات) انتقد هذه الفكرة وشكك في امكانية نجاحها, ولكن كانط (1724م–1804م) في كتابه "(مشروع للسلام الدائم) سنة 1795م, نراه انتقد عدم الاهتمام الكافي الذي نوليه بالوسائل السياسية والمؤسساتية الدائمة في اقامة السلام, وحرر كتابه في اطار نوع من الاتفاقية حيث اكد في المادة الاولي منها ان الدستور المدني لكل دولة يجب ان يكون دستوراً جمهورياً. ([2])

*الرُّواقيَّة أو الرُّسُوخِيَّة هي مَذهَبٌ فَلسَفيٌّ هِلِنِستِيٌّ أنشأه الفيلسوفُ اليونانيُ زينون السيشومي في أثينا ببدايات القرن الثالث قبل الميلاد,والرواقية فلسفة أخلاقية,وفقاً لتعاليمها,فإن الطريق إلى (اليودايمونيا) السعادة أو الراحة الدائمة, يكون بتقبل الحاضر, وكبح النفس من الانقياد للذة أو الخوف من الألم, عبر مَشُورَةِ العقلِ لفهم العالم وفِعلِ ما تقتضيه الطبيعة.انظر:

https://cutt.us/xLtDy

([1])جلين تيندر: الفكرالسياسي,الاسئلة الابدية, ترجمه/ محمد مصطفي غنيم, ط1, الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية, القاهرة, 1993م, ص69.

([2])ايمانويل كانط: مشروع للسلام الدائم, ترجمة/ عثمان امين,الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, 2006م, ص41.

- واقترح لاؤتسي(*) أفكار للحد من الحروب وأضاف اليها العقوبات الواجب فرضها علي المتسببين فيها, ولقد عارض الحرب قائلاً: ان أي مكان رابط فيه الجيش يصبح مليئا بالأشواك.([1])
- كما كانت أشهر الدعوات الفلسفية للسلام هي دعوة كانط, فالحرب عند كانط هي وسيلة وليست هدفاً في ذاتها, فالمألوف ألا تلجأ الدولة الي استخدام هذه الوسيلة باهظة التكلفة إلا في حالة عدم كفاية السبل الأخري, ولا يخفي ان استخدام القوة عند اللزوم طبع أصيل من طبائع البشر وان منطق القوة هو اقوي منطق في مجال علاقات الافراد وفي مجال علاقات الدول علي حد سواء. ([1])

وتزداد حاجة البشر للسلم كلما ازداد شعورهم بأنهم مهددون في وجودهم وفي كينونتهم ان حياتهم في خطر دائم, بفعل تأصل العدوان فيهم واسبقية الحرب عندهم علي السلم, فالحرب طبيعة في الانسان والسلم اصطناعي يبني بناءً"فالحرب بحد ذاتها ليست بحاجة الي سبب خاص بل يبدوا انها متجذرة في الطبع البشري, بل تعد عملاً نبيلاً ينزع اليها الانسان حباً في المجد بمعزل عن أي دافع مصلحي".([2])

ومعني ذلك ان الانسان عند ولادته هو كائن متوحش بيولوجي يسعي الي اشباع احتياجاته البيولوجية أولاً, وإذا تعارضت مع احتياجات بيولوجية لشخص آخر نشأ

(*)لاؤتسي: فيلسوف صيني قديم وشخصية مهمة في الطاوية, وتتلخص افكاره في عدم قدرة البشر علي تحقيق السعادة الحقيقية والحرية في الحياة دون التبصر في سبيل الحياة. انظر : حسين سعيد: الموسوعة الثقافية, مؤسسة فراكلين للطباعة والنشر, القاهرة, 1972م,ص842.

([1])شمامة خير الدين : الحرب بين التحريم والتقنين, مجلة سياسات عربية, العدد التاسع, الدولة, 2014م, ص34.

([2])ايمانويل كانط: مشروع سلام دائم, محاولة فلسفية, ترجمة نبيل الخوري, دار صادر, بيروت, 1985م, ص64.

الصراع أو الحرب بين الأثنين, ويوضح كانط كيفية تعديل ذلك السلوك الفطري في الفرد, فيؤكد علي هذا المعني في مقدمة كتابة " تأملات في التربية":

"الانسان هو المخلوق الوحيد الذي يجب تربيته, ونقصد بالتربية الرعاية والانضباط والتعليم ....لأن الانضباط يحول الحيوانية الي الانسانية"([1]) فلا يستطيع الانسان أن يصير انساناً إلا بالتربية فهو ليس سوي ما تصنع به التربية.

إذن الانسان لا يولد انساناً اجتماعياً بل يصبح كذلك بفعل التربية والتعليم واكتساب القيم الاخلاقية والسياسية والجمالية, ومن هنا يظهر دور النسق الخلقي في المجتمع ودوره في تهذيب النفس البشرية وتحويلها من طابعها البيولوجي القائم علي الصراع والحرب, إلي الطابع الاجتماعي المتعايش في حالة سلام مع الآخرين, المؤمن بأهمية التعاون داخل المجتمعات حتي تستمر الحياة الانسانية وتذهر الحياة, والسؤال: ما المقصود بالاخلاق؟ وهل وتستطيع ان تقوم بهذا الدور التهذيبي؟

ثانيا: الاخلاق والسلام:

الاخلاق: (لغة) جمع خلق وهو العادة والسجية والطبع والمروءة.

الاخلاق اصطلاحاً: هي علم يبحث في الاحكام الخاصة بالخير والشر, والفضيلة, وهو علي نحوين:إما ان يتجه الي تحليل سيكولوجي أو سوسيولوجي لأحكامنا الخلقية لبيان أسباب استحساننا أو نفورنا, وإلي بيان أسلوب الحياة الذي ينبغي ان نحتذيه كأسلوب خير أو حكيم.والاهتمام هنا لا ينصب علي الاستحسان بل علي الفعل ولا ينصب علي تفسير الفعل بل علي توجيهه, لذا فالبحث هنا يقوم علي البحث عن مثال أو معيار معين للسلوك أو غاية الخير الأعظم.([2])

([1])ايمانويل كانط: تأملات في التربية, ترجمة محمود بن جماعة, دار محمد علي الحامي للنشر, صفاقس, 2005م, ص11.

(1)مراد وهبة: المعجم الفلسفي،دار قباء الحديثة, القاهرة, 2007, ص33.

فالأخلاق منظومة من القيم والمعايير السلوكية التي يرتضيها المجتمع لنفسه وأفراده تنشد فضائل الحق والخير والجمال, وهي من حيث وظيفتها توجه الأفراد إلى ما يجب عليهم القيام به, وتنهى عما يجب تجنبه في مختلف المواقف الحياتية والإنسانية, وهي ترتكز في وظيفتها تلك إلى مجموعة من القيم الأخلاقية التي توجه السلوك الإنساني توجيها غائياً يتسم بالحكمة والفضيلة, فالأخلاق توجه الفرد إلى التمييز بين الخير والشر, بين الحق والباطل, بين الخطأ والصحيح, بين ما هو محمود وما هو مذموم, والأخلاق تشكل منهجاً وجدانياً يُنير طريق الأفراد في المجتمع إلى طريق الحق والخير والجمال, وغالباً ما يطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة فالمحمود منها يعرف بالخير, والمذموم منها يعرف بالشر, حيث تشكل مسألة الخير والشر المحور الأساسي لعلم الأخلاق, فهي تعني الالتزام بالقيم والمبادئ الأخلاقية التي توجه الإنسان نحو الخير والفضيلة وتحول بينه وبين الشر, وترمز إلى انتصار الجوانب الايجابية في الإنسان طلبا للكمال وتحقيقا للغايات السامية في الحياة, أي أنها نوع من الوعي بما ينبغي وبما يجب التماسا للجمال الأخلاقي والكمال الروحي.

فهي" العلم المعياري لسلوك الكائنات البشرية التي تحيا في المجتمعات, وانه العلم الذي يحكم علي مثل هذا السلوك بالصواب وبالخطأ فالاخلاق إذا علم معياري, وهو كذلك علم معياري للسلوك, والسلوك اسم جمعي للافعال الاختيارية وتلك الحرية التي من خلالها يقوم الاختيار وهذا ما يميز سلوك الانسان عن غيره من افراد الحيوان.([1])

فالأخلاق هي التي تقوم بضبط السلوك داخل المجتمع, وتحدد السلوكيات المقبولة وغير المقبولة, بين ابناء المجتمع الواحد او بين المجتمعات المختلفة, فهذه المعايير والقواعد الأخلاقية تمنع البشر من إيذاء بعضهم البعض, وهي المبادئ الأساسية والأكثر حيوية

(1) وليام, ل.:مقدمة في علم الأخلاق, ترجمة: عبد المعطي محمد,ط2, منشأة المعارف,الإسكندرية, 2000م, ص27.

لرفاهية البشر من أي مبادئ أخرى مهما كانت مهمه, وتحدد أفضل الطرق لتسيير الشؤون الإنسانية, وتحديد العلاقات والمشاعر الاجتماعية للنوع البشري.

وتشكل الاخلاق جزءً أساسياً من المعرفة الانسانية, وهي أكثر الطرق منطقاً واستدامة حول الاجابة عن السؤال "كيف يجب علينا ان نعيش؟" هذا السؤال هو جوهر الفكر الاخلاقي, وهو السؤال الذي طرحه سقراط في كتاب تلميذه افلاطون "الجمهورية" وهو ذاته الذي حاول فلاسفة الصين الاجابة عليه (كونفوشيوسConfucius – منسيوس Mencius–مو تزو Mo Tzu–شن تزو Shen Tzu)([1])

كما تشكل الأخلاق ركناً أساسياً من أركان الوجود الاجتماعي, ونسقاً حيوياً في نسيج الحياة الإنسانية, فالأخلاق نظام من القيم يوجه حياة الفرد وينهض بها إلى أرقى مستوياتها الإنسانية. والإنسان لا يحقق جوهره الإنساني إلا في صورته الأخلاقية, لأنه الكائن الوحيد في مملكة الكائنات الحية الذي يضحي برغباته وميوله على مذابح السمو الأخلاقي, سعيا إلى تجسيد قيم الحق, والخير, والجمال, والشرف, والكرامة, العدل, والإيثار, والتسامح, والشجاعة, وكل القيم والفضائل التي تشكل جوهر الحياة الأخلاقية وغايتها.

ولكن القارئ الجيد للظروف المعاصرة التي مر بها العالم يجد أن العالم شهد في العصور القديمة والوسطي وحتي العصر الحديث والمعاصر العديد من الحروب وأفعال القتل والسلب والنهب مثل(الحربين العالميتين الأولي والثانية –وحرب فيتنام– حرب العراق– غيرها) وكانت تلك الحروب والانتهاكات التي تتم علي الإنسانية علي الرغم من وجود المعرفة لدي البشر بخطورة الأسلحة وخاصة النووية ولكن تلك المعرفة لم تمنعه من

(1)C.A. J Coady: «The Ethics of Armed Humanitarian Intervention». Washington : United States institute of Peace, 1 st Published, July 2002, p 13.

استخدام تلك الاسلحة لتحقيق أطماعه الشخصية, وقامت تلك الحروب علي الرغم من وجود نسق اخلاقي قوي شيده العديد من الفلاسفة العظام.

ويكون السؤال:هل فقدت الأخلاق القدرة علي التحكم في سلوكيات الفرد؟

الاجابة: بالايجاب, فلم تعد الأخلاق التقليدية في عالم العلم المتطور مؤهلة من جهة, ولا تكفي لمواجهة المعضلات الأخلاقية التي استحدثت من جهة أخرى, وذلك لأنها لا تلائم الوقائع الجديدة, ولم تكن تتوقعها, أي تظل عاجزة عن أسئلة الواقع الجديدة والمعقدة التي تتسم بخطورة حتى وان لم نكن نمتلك كل العناصر العلمية المؤكدة حول الأخطار التي نواجهها, خاصة في ظل عالم أصبح يفتقد لمعالم محددة.([1])

وعلي الرغم من ذلك, كانت أشهر الدعوات الفلسفية للسلام هي دعوة كانط, فلقد أوضح أن البعد الإنساني يقوم علي فكرة التعايش مع الآخر ولكي نحققها علينا "أن يكون ذلك ماثلاً علي الدوام في أذهان المسؤولين عن المخططات التربوية, بحيث يجب أن لا يربي الأطفال فقط بحسب حالة النوع البشري الراهنة, بل حسب الحالة الممكنة التي تكون أفضل منها في المستقبل أي وفق الانسانية وغايتها الكاملة".([2])

ولقد اختلف الفلاسفة عبر العصور في نظرتهم لعلاقة الاخلاق بالسياسة وتحقيق السلام وانهاء حالات الصراع والحروب, ولقد نجم عن هذا الاختلاف عدة اتجاهات متباينة منها:

- **الاتجاه الاول:** يري ضرورة الربط بين الاخلاق والسياسة, وأنه لا يمكن من فصل أحدهما عن الآخر, وظهر ذلك في الفكر الشرقي القديم, حتي

(1) مجدي عبد الحافظ: الاخلاق بين القيم والممارسة التطبيقية, مقالة في كتاب, مصطفي النشار, وآخرين, (الفلسفة التطبيقية) الفلسفة لخدمة قضايانا القومية في ظل التحديات المعاصرة, الدار المصرية السعودية, القاهرة, 2005م, ص372.

([2])كانط: تأملات في التربية, مرجع سابق, ص5.

كانت تعتمد الأنظمة السياسية علي السلطة الأبوية (البطريركية) سواء في مصر أو في الصين أو في غيرهما, ولما كانت سلطة الأب سلطة اخلاقية دينية, فإننا نستطيع ان نقول بوحدة الاخلاق والسياسة في الفكر القديم.([1])

ولقد دعي بعض فلاسفة اليونان الربط بين الاخلاق والسياسة, بداية من افلاطون وخاصة محاورته الجمهورية, والتي تناول فيها مسألة العدالة التي هي بحق مسألة اخلاقية سياسية, وارسطو أيضاً كان يبحث عن الخير الأقصي للحياة الفاضلة, وهذا ما وجدناه في كتابيه السياسة, والاخلاق الي نيقوماخوس.([2])

- **الاتجاه الثاني:** يري ضرورة الفصل بين الاخلاق والسياسة, وأهم ممثليه "ميكافيللي" وخاصة في كتابه الأمير , وهو صاحب المبدأ القائل " الغاية تبرر الوسيلة" ونادي بعدم التزام الحاكم بأية قيود اخلاقية, وان كل شئ مباح في السياسة وقد سار علي نفس النهج "توماس هوبز" صاحب كتاب الفياثان" ([3])

<u>والسؤال: إلي أي اتجاه يميل والزر؟</u>

مايكل والزر هو أحد المفكرين البارزين في مجال العلاقات الدولية، ويميل إلى المدرسة الواقعية الدفاعية. الواقعية هي إحدى النظريات الرئيسية في مجال العلاقات

(1)امام عبد الفتاح امام: الاخلاق والسياسة " دراسة في فلسفة الحكم",المجلس الاعلي للثقافة, القاهرة, 2002م, ص131.

(2)امام عبد الفتاح امام: الاخلاق والسياسة "مرجع سابق,ص-ص 171-187.

(3)امام عبد الفتاح امام: الاخلاق والسياسة "مرجع سابق,ص 249.

الدولية، وهي تركز على أن الدول تتصرف بناءً على مصالحها الأمنية والاقتصادية في إطار نظام دولي يعتبر فوضويًا وغير متماثل من حيث القوة ([1])

الواقعية هي نظرية تركز على القوة والمصلحة الوطنية كعوامل أساسية في سلوك الدول. وهي تنطلق من فرضية أن العلاقات الدولية تتمحور حول الصراع والمنافسة بين الدول، خاصةً في سياق فوضى النظام الدولي. وتعتبر أن الدول تسعى للبقاء أولاً، وأنهم يعملون دائمًا على تعزيز قوتهم لمنع أي تهديدات للأمن الوطني.

نظرية "الواقعية الدفاعية" التي طورها والزر تتبنى فكرة أن الدول في النظام الدولي تسعى بشكل رئيسي إلى الحفاظ على أمنها الوطني من خلال قدرات دفاعية كافية. يعتقد والتزر أن الدول لا تسعى عادةً وراء التوسع العدواني أو الهيمنة، بل تسعى للحفاظ على الوضع الراهن والحفاظ على حدودها وسلامتها.([2])

<u>أهم أفكار مايكل والزر عن الواقعية:</u>

1. التوازن بين الأمن والتهديد: يرى والتزر أن الدول تتصرف بناءً على التهديدات الأمنية الموجهة إليها. على سبيل المثال، إذا شعر أحد الدول بالتهديد من دولة أخرى، فستعمل على تعزيز قدراتها الدفاعية لتجنب الحرب أو الصراع.

2. العدوانية ليست الهدف: يختلف والتزر عن بعض الواقعيين الذين يرون أن الدول تميل إلى السعي نحو القوة الهيمنية؛ حيث يؤكد على أن الدول تسعى للحفاظ على أمنها وألا تسعى بالضرورة للهيمنة أو العدوان.

(4) –. Kenneth Waltz, Theory of International Politics (Reading, MA: Addison-Wesley, 1979), 123.

(1) –Michael Waltz, Theory of Defensive Realism, (Columbia University Press, 1998), p. 142.

3. أهمية الفهم السليم للتهديدات: يعتقد والتزر أن السياسات التي تتبناها الدول تكون غالبًا استجابة لتهديدات محتملة، ويشمل ذلك استراتيجيات الردع أو التوازن العسكري([1])

باختصار، مايكل والتزر يساهم بشكل أساسي في تفسير سلوك الدول في النظام الدولي من خلال التركيز على أن الدول تسعى إلى الأمن وحماية مصالحها بشكل دفاعي، وليس الهجوم أو الهيمنة على الدول الأخرى

يري والزر أن السياسيين دون الاشخاص العاديين يمكنهم وحدهم ان ينتهجوا مسألة "الأيدي القذرة" dirty hands في سبيل تحقيق الصالح العام.([2])

معني ذلك أن والزر يري امكان استخدام طرق غير اخلاقية في العمل السياسي وادارة شئون الدول, ونستطيع القول أنه لا يري أن الأخلاق تستطيع أن تقدم حلولاً جذرية للمشكلات البشرية, وأن الهدف الأساسي للأفراد وللدول هو الحفاظ علي البقاء وحماية الحياة, وإذا تعارضت تلك الأهداف مع الآخرين –أفراد أو دول– وجب استخدام الطرق غير الاخلاقية وعدم الالتزام بالمبادئ الاخلاقية.

إذن منع الصراعات والحروب بين البشر من خلال نشر الاخلاق أو بلغة كانط تعليم المبادئ الاخلاقية وتربية الانسان علي القدرة علي التعايش السلمي مع الآخرين لم تؤتي ثمارها ولم تمنع الحروب والصراعات من السيطرة علي البشرية قرون عديدة, وهذا علي الرغم من ان الانسان يعلم المبادئ الاخلاقية الا انه لم يمتنع عن ممارسة الحروب, وهذا ما دفع الفلاسفة والمفكرين في الي محاولة وضع مبادئ تقلل من الوحشية في

(2). Waltz, Defense and Peace in International Relations, (Oxford University Press, 2004), p. 76.

(2)Michael Walzer: «Political action: The problem of dirty hands». Philosophy and public affairs, Volume 2, Issue 2, Winter 1973, p, p160, 180.

الحروب, فيما اطلق عليه "اخلاق الحرب" والقواعد التي وضعتها الامم المتحدة في معاملة اسري الحروب, فضلا عن تحريم قذف المدنيين ... وغيرها من المبادئ الاخلاقية التي تحد من وحشية الحروب.

وعلي الجانب الآخر سعي العديد من المفكرين والفلاسفة الي تبرير التدخل العسكري والعنف بين الدول بعضها البعض, سواء كان هذا التبرير بان تلك الحروب هي تنفيذ لإرادة الله, أو الحروب المقدسة, أو بحثاً عن قواعد واهداف أخلاقية للحروب, وهذا ما اصطلح علي تسميته الحرب العادلة, ويعد والزر من اهم الفلاسفة المعاصرين الذين اهتموا بالحرب العادلة وبحث عن المبررات الاخلاقية والمنطقية في استخدام العنف من قبل دولة علي دولة اخري, فما المقصود بالحرب العادلة؟ وما هي المبررات الاخلاقية لشن الحروب؟

ثالثا: الحرب العادلة من منظور فلسفى:

أ- المفهوم:

إن النقاش حول عدالة الحروب قديم قدم الحرب ذاتها ونشأ من خلال هذا النقاش ما يعرف بنظرية الحرب العادلة وهي النظرية التي تحدد عدالة الحروب من حيث شنها وإدارتها في ظل المنظومة الأخلاقية ووفقًا لشروط العدالة.

ففكرة الحرب العادلة متأصلة في مختلف التقاليد العلمانية والدينية, ولقد ساهمت الفلسفة المسيحية في العصور الوسطي في تحليل الحرب من منطلق لاهوتي واخلاقي فقد بين اوغسطين وتوما الاكويني واصطلحا علي تسميتها بالحرب العادلة, كما ساهم فلاسفة

عصر النهضة في تكوين نظرية الحرب العادلة امثال "فرنسيسكو دي فيتوريا 1483-1546 , وهوغوغروسيوس 1583-1645). ([1])

ويتكون مفهوم الحرب العادلة من حدين, (الحرب-العدالة) فالحرب فعل عدواني شنيع تمارسه دولة ضد دولة أخري سواء كان الدافع الي ذلك شرعيا أم غير شرعي, فالحرب في كلتا الحالتين فعل عنيف يقوم علي قوة العدد والعُدة, إما بهدف الهيمنة والسيطرة والاستغلال وإما من أجل الوصول الي السلام العادل, أما كلمة العادلة: فتشير الي العدالة والشرعية والفضيلة والمساواة أو التقييد بمجمل الأخلاق والقوانين والشرائع التي تنظم الحروب.([2])

نظرية الحرب العادلة هي ذلك الإطار الذي يتضمن مجموعة من القيم والضوابط والمعايير التي تحدد في مجموعها ما هو عادل وما هو غير عادل بالنسبة للحرب, سواء علي مستوي شنها ابتداءً أو علي مستوي ادارة عملياتها بعد اندلاعها فعلاً.([3])

فهي محاولة إضفاء الطابع الديني والشرعي والأخلاقي على الحرب التي تخوضها دولة ضد دولة أخرى, وبشكل عام يتحدد مفهوم الحرب العادلة انطلاقًا من الأسباب والموضوع

([1]) قاموس الفكر السياسي: ج1, مجموعة من المختصين,ترجمة: انطوان حمصي, منشورات وزارة الثقافة , دمشق, 1994,ص242.

([2])جميل حمداوي:هل هناك حرب عدالة؟,كتاب الاصلاح, الكتاب الرابع عشر, 2016م, ص14. انظر:

3Vx61u.pw/r2https://

(1) عبد الله نصار: مدخل الي نظرية الحرب العادلة , عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية , القاهرة, 1993م, ص5.

والوسائل والأهداف والأطراف وطبيعة الحرب وما قبل الحرب وأثناء الحرب وما بعد الحرب.([1])

كما يضع كانط مبادئ الاخلاق في الحرب متسائلاً ما معني حرب عادلة؟ إنها الحرب التي لا تجوز إلا ضد عدو ظالم, فمن هو العدو الظالم؟ "حيث تكون النظم فاسدة فإنه يكون من حق الشعب اصلاحها بالقوة وارتكاب الظلم مرة واحدة ابتغاء تأسيس العدالة علي نحو وطيد وجعلها تزدهر." ([2])

ولكن يظل التساؤل: هل الاخلاق بمبادئها قادرة علي منع الحروب؟ والاجابة بالتأكيد بالنفي, حيث ان التاريخ البشري–وحتي العصر الراهن– يؤكد علي ان الاخلاق بمبادئها عاجزة عن منع الانسان من استخدام العنف ضد اخيه الانسان, وان تلك المبادئ لم تمنع الانسان من القتل والتعذيب في المدنيين قبل المحاربين, وعلي الرغم من ذلك, فقد حاول المفكرون ايجاد مبررات اخلاقية وعقلية مقبولة لشن الحروب من قبل الدول بعضها البعض, وتم صك مصطلح "الحرب العادلة" لمحاولة تبرير الحروب والعنف والدمار.

وظهر مذهب الحرب العادلة في اللاهوت الكاثوليكي فيما يسمي قانون"حق شن الحرب":

- قانون "حق شن الحرب" قانون "من خلال الحرب"وتعود تلك الفكرة الي القديس اغسطين(*) الذي اعطي صياغته الاولي وطرح سؤالاً محرجاً وهو هل

---

[1]Brain orend: the Morality of War, Peterbrough, Broadview press, 2006, P4.

([2])عبد الرحمن بدوي: ايمانويل كانط فلسفة القانون والسياسة, الكويت, وكالة المطبوعات, 1979م, ص–ص228–229.

* القديس أغسطينوس (13 نوفمبر 354 – 28 أغسطس 430) كاتب وفيلسوف من أصل روماني–لاتيني ولد في طاغاست. يعد أحد أهم الشخصيات المؤثرة في المسيحية الغربية. تعدّه الكنيستان

من الضروري ان يكن المسيحي آثماً إذا شن حرباً؟ فعلي الرغم من ان اغسطين دعي تكراراً الي إلغاء الحرب في كتابه "مدينة الله" فسمح أيضاً باستثناءات تجلت اهميتها في ان الكنيسة وافقت عليها فيما بعد, فقد ذكر القديس أغسطين في الكتاب السادس: بما ان الأسوأ هو ان يحكم الأشرار العادلين من ان يخضع العادلون للأشرار إذن حرب العادلين ضد الأشرار لن تكون مجرد شر لابد منه لكنها تدعي وبحق حادثاً سعيداً, وفي الكتاب التاسع عشر أضاف قائلاً, بالرغم من ان الرجل الحكيم دائماً يرفض ان يضطر الي الخوض في حروب عادلة فان هناك مناسبات يضطره ظلم الطرف المضاد الي ادراك ضرورة خوض حروب عادلة"([1])

ويعتبر اوغسطين من أوائل الذين بحثوا في نظرية الحرب العادلة, حيث إنه انكب على دراسة السؤال المتصلب, ومعرفة ما إذا كان من الممكن للمسيحيين أن يدخلوا في حرب من دون أن يرتكبوا خطيئة, وكانت اجابته هو انه من الممكن ان يضطر الانسان الي خوض الحرب لتحقيق العدالة في الارض او محاربة الاشرار, علي الرغم من ان ذلك السماح بالحرب عند اوغسطين يخالف مبادئ التسامح في المسيحية إلا انه اكد علي ان الحياة في ظل الشر والظلم قد يكون مبرراً كافياً لقيام الحروب والعنف.

الكاثوليكية والأنغليكانية قديسا وأحد آباء الكنيسة البارزين وشفيع المسلك الرهباني الأوغسطيني. يعدّه العديد من البروتستانت، وخاصة الكالفنيون أحد المنابع اللاهوتية لتعاليم الإصلاح البروتستانتي حول النعمة والخلاص. وتعدّه بعض الكنائس الأورثوذكسية مثل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية قديسا. انظر https://cutt.us/3mVZQ

(1) كوين تنسكنر: اسس الفكر السياسي الحديث, الجزءالاول, عصر النهضة, ترجمة : حيدر حاج اسماعيل, المنظمة العربية للترجمة, بيروت, لبنان, 2012م, ص439.

كما حدد توما الاكويني(*) ثلاث شروط-مقومات- لشن الحرب العادلة:

1. أمير شرعي يأذن بالحرب.
2. ان تكون الحرب بنية سليمة هدفها تعزيز كل ما هو جيد ودحر كل ما هي سئ.
3. قضية عادلة ضد عدو بعد الشعور بانه من الذنب عدم الرد عليه. ([1])

ويري والزر ان الحرب العادلة هي مجموعة المبادئ والمعايير الأخلاقية التي تحدد الوسائل والغايات بالنسبة لاستخدام العنف من جانب الدولة, وهذه المبادئ والمعايير الأخلاقية ملزمة؛ لأنها تقوم على الإجماع العام, وهي مشتقة من المعايير القانونية, والأفكار الدينية والفلسفية, والشرائع الأخلاقية المختلفة, والاتفاقات المتبادلة التي تؤسس اتفاقية, أو تقليد الحرب الذي يتخلل المجتمع بأكمله.([2])

(*) كان القديس توما الأكويني (ولد 1225 (وفي بعض المصادر 1226)، وتوفي في السابع من مارس/آذار 1274) راهباً دومينيكانياً، وفيلسوفاً، وكاهناً كاثوليكياً، فهو عالم لاهوت، وفقيه مؤثر للغاية في تقليد الفلسفة المدرسية (السكولاستية)، ويُعرف أيضاً بلقب العالِم الملائكي (باللاتينية: «Doctor Angelicus»)، والعالم المشترك (باللاتينية: «Doctor Communis»)، والعالم الكوني (باللاتينية: «Doctor Universalis»)يحدد الاسم الأكويني أصول أجداده في منطقة أكوينو في لاتسيو الحالية في إيطاليا. ومن بين الشؤون الأخرى أنه كان مؤيداً بارزاً لعلم اللاهوت الطبيعي، وأبو مدرسةٍ فكريةٍ (تشمل كلّاً من اللاهوت والفلسفة) تُعرف باسم «التوماوية» (بالإنجليزية: «Thomism») جادل بأن الله هو مصدر كلٍّ من نور العقل الطبيعي ونور الإيمان.انظر: https://cutt.us/70tex

[1]Aleksander Jokic: «what's a just war theorists ?». Journal of theological and philosophical Criminology .Vol 4 (2), July 2012, p 92.

[2]Michael walzer: just and unjust wars a moral argument with historical illustrations new York basic books.

كما يعد مايكل والزر من أهم الداعين الي الحرب العادلة حيث يعد كتابه (الحرب العادلة وغير العادلة حجاج اخلاقي مع امثلة تاريخية) Just and un just wars A moral Argument with historical illustrations من أهم الأعمال الفلسفية المعاصر حول موضوع الحرب العادلة.

فعقب أحداث 11 سبتمبر 2001م أصدر مايكل والزر رفقة ستين اكاديمياً امريكياً بياناً بعنوان "لماذا نحارب" رسالة من امريكا" أوضح البيان آراء فكرية وقيم أساسية تمثل وفقاً لهم أفضل ما في الولايات المتحدة الامريكية إنها القيم التي ذهبت امريكا الي الحرب من أجلها وهي:

- يولد البشر جميعاً احراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق.
- الموضوع الأساسي للمجتمع هو الفرد البشري والدور المشروع للحكومة يتمثل في حماية وتعزيز شروط الازدهار البشري.
- للبشر رغبة طبيعية في السعي الي الحقيقة المرتبطة بأغراض الحياة وغاياتها النهائية.
- حرية الضمير والحرية الدينية من حقوق البشر التي لا يمكن المساس بها.
- القتل باسم الرب مناقض للإيمان به وخيانة عظمي لشمولية الايمان الديني.
- نحن نحارب دفاعاً عن انفسنا وعن هذه المبادئ العالمية الشاملة. ([1])

ونخلص من تلك المبادئ التي اعلن عنها المفكرون والفلاسفة أنها عبارة عن مبررات غير منطقية للحروب التي تخوضها امريكا, فهي اعلان من امريكا علي تنصيب نفسها حاكماً ومدافعاً عن كافة المبادئ التي اعلنوا عنها, وهذه المبادئ إنما هي مبرراً

(1)David Blankehorn and other signatories: «What we're fighting for a letter from America». U.S. A: Institute for American values, 2002, p, p 1, 17.

لتدخل الولايات المتحدة في العديد من الدول بحجة الدفاع عن الحرية, أو لتعزيز شروط الازدهار البشري, أو للحفاظ علي حرية الضمير وحماية الحرية الدينية, أو لمعاقبة من يحاربون باسم الاله, أو الدفاع عن المعتقدات الامريكية ووجهات النظر الخاصة بها.

وعلي الجانب الآخر, تتمثل أهمية وجهة نظر والزر في الحرب العادلة أنه أعطى لها فرصة جديدة للحياة وأعادها إلى خريطة النظرية الاجتماعية والسياسية المعاصرة, فكان هدفه هو:

- تمييز مفهومه للحرب العادلة عن مفهوم اللاهوتيين في العصور الوسطي للحرب العادلة, بواسطة تأسيسها علي مبادئ أخلاقية وحقوق الانسان بدلاً من مبدأ الحرب المقدسة والاخلاص الإلهي.
- ومبرراته للحرب العادلة اخلاقية, غير مشتقة من الحق الالهي, أو المنفعة الفردية, أو الحسابات الاقتصادية.([1])

والسؤال الآن: هل وصف الحرب بالعادلة عند والزر تجعلها أخلاقية؟

والجواب: الحرب من حيث المبدأ الاخلاقي العام هي شر وفعل غير اخلاقي, ولكن والزر يري ان داخل الحرب والتي تعد شراً اخلاقياً هناك العديد من القواعد الاخلاقية يجب الالتزام بها, بل ويؤكد علي ان القواعد الاخلاقية داخل ميدان الحرب تعد تحد

([1])Ronan O Callaghan :Ethics as Response: A Critical Analysis of Michael Walzer's Just War Theory in the Context of Ira, Doctor of Philosophy, Faculty of Humanities, University of Manchester,2013, P30.

حقيقي للأخلاق فإذا تحققت في مجال الحرب فإنها تتحقق في جميع المجالات بعد ذلك. ([1])

ومن الواضح أن والزر كان يشعر بشئ من التناقض عند حديثة عن عدالة الحروب, فوضع مجموعة من التأكيدات للوصول من خلالها علي اجابة علي تساؤلاته عن عدالة الحروب وهي:

- ضرورة الاقرار بصعوبة وتعقد القرارات الخاصة التي تعود الي تركيبة العالم.
- اذا كانت اللغة تعكس العالم الذي نعيش فيه فإن القاموس الاخلاقي يعتبر من طبيعة مقبولة وثابته وعامة ويمكننا من اصدار احكام جماعية مشتركة.
- ان الحياة الاخلاقية ليست حياة فردية بقدر ما هي حياة جماعية في جوهرها. ([2])

وبعد ان بين لنا والزر مدي صعوبة تناول الحروب من الناحية الاخلاقية أخذ يبرر موقفه من خلال عرض مجموعة من التناقضات في الحروب متسائلا عن كيفية تقديم حلول لها, لكي تترك القارئ في تناقضات وتساؤلات وتكون بمثابة مبرراً لوجهة نظره وموقفه تجاه عدالة الحروب, ومن تلك القضايا:

- ان الحرب تتطلب انتصار, وبالتالي فإن القتال بشكل عادل ليس أمراً سهلاً, فالحرب العادلة تفترض أنه ليس من العدل مثلاً ضرب جندي جريح, مع انه من الممكن ان تظهر فكرة أخري, وهي الضرورة العسكرية, وبالتالي يمكن

([1])M, walzar, arguing about War, New York, Haven Yale Universality Press, 2004, p50.

([2])Michael Walzer, War just and unjust wars, Basic Books in, New York, 2006, p.36.

ضرب الجندي الجريح لتحقيق مبدأ الضرورة العسكرية, وبالتالي تحقيق الانتصار, وهنا تكون القواعد الاخلاقية في الحرب ولا تتمتع بالقوة الكافية, ولكن يجب العمل دائماً وفقاً للقاعدة القائلة "كلما كانت الحرب عادلة كانت قانونية ومشروعة".([1])

- ان الحرب تتضمن اعتداء من دولة علي دولة أخري, فكيف نصف الدول غير المشتركة في الحرب بانها محايدة؟ ان هذا الحياد في يعتبر مشاركة جماعية وإرادية في النزاع.
- ففي الحرب حالات استعجالية قصوي: اي ان الحرب قد تحتم عدم التمييز بين المحاربين وغير المحاربين وهو ما اضطرت بريطانيا الي القيام به في بداية الحرب العالمية الثانية عندما امرت طيرانها الحربي بقصف المدن الالمانية, فما موقف الاخلاق من ذلك, فالقنبلة الانجليزية علي المدن الالمانية–المدنيين– في الحرب العالمية الثانية تعتبر شكل من اشكال الحرب العادلة عند والزر, فهو يري ان اثناء الحرب العالمية الثانية كانت الجيوش الالمانية –النازية–تحقق تقدم كبير في اراضي أوروبا ولم يكن امام انجلترا الا هذا السلوك لأنها امه تم الاعتداء عليها وعلي مقربة من الدمار والهلاك, فقامت بمحاولة الدفاع عن نفسها وهذا ما يطلق عليه والزر الطوارئ, اي احترام العدالة إلا اذا كانت السماء علي وشك السقوط.
- فكرة الردع والمتمثلة في انه في ظل تهديد غير اخلاقي يجب التقدم برد غير اخلاقي.

([1])Ibid, p.313.

- والمسئولية في الحرب, علي من تقع المسئولية في الحرب؟ ان المسؤولية القانونية تقع علي القيادة السياسية لانها هي المسئولة عن تحريك آلة الحرب, وأما من هم دونهم فتقع عليهم المسئولية الاخلاقية أي يعتبرون مدانين اخلاقياً كما يعتبر المواطنين كذلك مسؤولين عن ذلك حسب موقفهم من مساندة الحرب أو عدم مساندتها وموقفهم من ارتكاب الجيش –جيشهم–للجرائم.([1])

نستخلص من تلك التساؤلات أن ثمة تعارض بين الحرب والاخلاق, وكما أعلن والزر أن السياسيين دون الاشخاص العاديين يمكنهم وحدهم ان ينتهجوا مسألة "الأيدي القذرة" في سبيل تحقيق الصالح العام, وفكرة الايدي القذرة من الواضح أنها معارضة للمبادئ الاخلاقية, لذلك يعلن ان ثمة تناقضات داخل فكرة الحرب العادلة, لان الحرب تتطلب انتصار, هذا الانتصار لن يتأتي الا بممارسات العنف والقتل, وهذه الممارسات غير اخلاقية, كما ان الجنود داخل المعركة وفقاً لقواعد الاخلاق عليهم الا يعتدوا علي المصابين أو المدنيين, إلا أن في العديد من الاحيان يتم الاعتداء علي المدنيين بهدف تحقيق الانتصار, كما ان المسئولية الاخلاقية تقع من علي قائد الجيوش الذي اتخذ قرار الحرب؟ أم علي الجنود في ارض المعركة؟ ونجد والزر يجعل المسئولية القانونية علي القادة والمسئولية الاخلاقية علي الجنود في ارض المعركة, متجاهلاً ان القادة هم من أرسلوا الجنود الي ارض المعركة وبالتالي فان المسئولية الاخلاقية كانت لابد ان تكون علي القادة وليس الجنود, وان كان ما يبرر هذا الموقف منه هو ان المسئولية القانونية أقوي واشمل من المسئولية الاخلاقية.

أن المسؤولية الأخلاقية مشتركة فالقاده لا يسمحون للجنود بالاغتصاب أو السرقة أو قتل العزل ولكن نجد ممارسات فردية للجنود التى تبيح لهم استخدام المدنيين واستغلالهم بطرق غير أخلاقية بعيده عن معرفة القاده فإذا كان القاده أعطوا الأوامر فى امور فإن

([1])Michael Walzer, War just and unjust wars, p.398.

الجنود فى بعض الأحيان لديهم الحرية فى اتخاذ الموقف الأخلاقى المناسب فى التعامل مع المدنيين ولكن البعض يتجاوز فى حق العزل من المدنيين وهنا لا يمكن تحميل المسؤولية فقط للقاده ولكن للجنود ايضا . وليس فقط الجنود بل رجال الدين والمفكرين الذين يبررون مثل تلك الاستخدامات .

ولكي يقدم والزر وجهة نظره بعيداً عن تلك الاشكاليات اعتمد علي الطريقة التاريخية, فهو استرسل في عرض العديد من النماذج التاريخية للحروب, حتي ولم يراعي فيها التسلسل التاريخي, فهو يتخذ من تاريخ الحروب دليلاً علي نظرية الحرب العادلة, محاولاً تحليل الحروب وفق المعلومات عنها وينتهي بالاجابة علي السؤال هل هذه الحرب عادلة أم لا؟ وعادلة هنا تكون وفق الأسس والمبادئ التي حددها, فبدلاً من البحث عن حلول عقلية للتناقضات التي طرحها يتحول الي مؤرخ يعرض لتاريخ الحروب في العالم موضحاً اخلاقيتها من عدم اخلاقيتها.

ولقد توقف والزر عند العديد من الحروب مثل حرب اثينا والحرب العالمية الثانية وحرب فيتنام وحرب كوريا وحرب الخليج الاولي والثانية وغيرها...وبعد ذلك انتهي الي الموقف الذي يري ان كل الوسائل مسموح بها في الحرب والذي يجسده في نظره القول المأثور" كل الوسائل في الحرب والحب مقبوله."([1]) وذلك القول الاخير, يؤكد علي الحرب عنف ودمار, وكل شئ مباح فيها, ويجب البحث عن الانتصار بأي شكل من الاشكال, بعيداً عن المعايير الاخلاقية.

وانتقد فكرة كون الحرب جريمة, لان ذلك الوصف من وجهة نظرة يتوقف علي السياق الذي تتم فيه الحرب, وانتقد وصف الحرب بالجحيم بسبب وجود من يقبلون الحرب باختيارهم كالمرتزقة والجنود المحترفين, وأما القول بأن الحرب اعتداء, فان هذا يعني انها يجب ان تحتكم الي العدالة وذلك ان الاعتداء لا يفهم الا من خلال الاقرار

([1])Michael Walzer, War just and unjust wars, p.34.

بوجود مجتمع عالمي يتكون من دول مستقلة وان هذا المجتمع تحكمه قوانين منها قانون السيادة والحفاظ علي سلامة التراب الوطني, وان استعمال القوة ضد دولة او التهديد بها يعد فعلا اجراميا وان كل اعتداء يؤدي الي حرب مشروعة من قبل المعتدي عليه, لانها حرب دفاع عن النفس فالاعتداء هو الذي يسوغ الحرب وعندما يتم صد المعتدي يجب معاقبته.([1])

يقول والزر" لم أبدأ بالتفكير في الحرب بشكل عام, ولكن بالتفكير في حروب معينة, وقبل كل شيء بالتدخل الأمريكي في فيتنام, لم أبدأ كفيلسوف, بل كناشط سياسي," ويستكمل"لقد وعدت نفسي بأنني سأحاول يوما ما أن أطرح الجدل الأخلاقي حول الحرب بطريقة هادئة وتأملية" وهذا سبب تأليف الكتاب([2])

بتلك العبارات افتتح والزر كتابه الحرب العادلة والحرب غير العادلة, واعتقد ان تلك المقدمة تبرر لنا عدم مناقشة والزر للمعضلات الاخلاقية التى ينطوى عليها في مصطلح الحرب العادلة, لانه يحدد لنا أنه ابتدأ التفكير في موضوع الحروب من منطلق أنه ناشط سياسي, وليس فيلسوف متأمل يبحث عن الاتساق العقلي في الافكار, لذا نجده لجأ الي تحليل الحروب العديدة التي حدثت في تاريخ العالم محاولا الوصول منها الي قاعدة يبرر بها التدخل الذي تقوم به بعض الدول في شئون دول اخري.وهذا وإن عكس يعكس أنه انتصر لتوجهات الأيديلوجية والسياسية التى حركته ومن منظور ذاتى لا باعتباره انسان ولكن باعتباره مواطنا امريكيا يبرر سياسات دولته وتدخلتها فى الدول الأخرى ومن ثم منظوره فى التحليل منظور ذاتى وضيق ومن منطلق فلسفة برجماتية تبرر الفعل والممارسة باعتبارهما الدفع للسلوك.

ب-الشروط:

([1])Ibid, P120.

([2])Ibid, P xi.

يحدد والزر مجموعة من المبادئ التي تحدد الحرب العادلة وغير العادلة وهذه القواعد هي, تتكون من جزئين اساسيين مرتبطين بسؤالين هما: ما هي الحرب العادلة؟ ان كانت هناك حرب يمكن وصفها بالعدل؟ وتعتبر نظرية (حق الحرب أو شرعية الحرب اجابة عن هذا السؤال والسؤال الثاني يتعلق بكيفية ادارة الحرب, أي ما هي الطريقة أو الكيفية التي تجري بها الحرب؟ والجواب علي ذلك نجده في نظرية الحق في الحرب أو الوسائل المشروعة لإدارة الحرب, تشترط النظرية مجموعة مبادئ نحدد وفق لها ما اذا كانت الحرب عادجلة أم غير عادلة:

- قضية عادلة: أي يمعني ان قرار الحري يجب ان يستند الي ادارة في تحقيق العدل وليس الانتقام استجابة لشر واقع.
- الغاية العادلة: بمعني يجب ان يكون الهدف من شن الحرب هدفا عادلا كحماية الابرياء او اقامة سلام عادل.
- الضرورة: بمعني استيفاء جميع الوسائل الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية بحل النزاع واعادة الحق والمحافظة علي السلم والامن الدوليين.
- هيئة شرعية: أي أنه لا يجوز اعلان الحرب الا من قبل هيئة وحكومة شرعية.
- تحقيق الهدف: اي لا يمكن شن الحرب الا اذا كان الامل والهدف المرسوم يمكن تحقيقه عسكريا. ([1])

ويضع والزر مجموعة قواعد داخل مجريات الحرب نفسها هي:

- التفرقة بين المحاربين وغير المحاربين بمعني ان الحرب العادلة لا تشن هجوما مقصودا ومباشرا علي غير المحاربين.

([1])Michael Walzer, War just and unjust wars, P.320

- نسبية الخسائر بمعني ان الدمار الذي تحدثه أو تلحقه الحرب يجب الا يتجاوز المكاسب المتوقعة أو المرسومة وان ايجابيات الحرب يجب ان تفوق ثمنها.
- ان الحرب العادلة حرب محدودة وانها وفقا لجملة من القواعد موجهة قدر الامكان الي الحد من استعمال العنف والاكراه تجاه السكان العزل. ([1])

لقد كتب والزر عن حرب الخليج الاولي وحسب قناعته ان النظرية السياسية يجب ان تكون قادرة علي تفسير الوقائع الجديدة خاصة وان نظرية الحرب العادلة قد عرفت اهتمام واسعا وبين .ويري ان موضوع حرب الخليج الاولي:

- انه يجب الاقرار بانه ليس هناك حالة مثالية تكون فيها الحرب سهلة ويمكن ان نطبق عليها جميع المعايير بالنسبة لحرب العادلة لكن بالعودة الي جميع احداث حرب الخليج من بداية غزو العراق للكويت الي المقاومة الكويتية والي الجهود الدبلوماسية واقرار الحصار الاقتصادي من الامم المتحدة ثم اللجوؤ الي تحالف عسكري قادته الولايات المتحدة الامريكية وكل الضغوط التى تمت ممارستها من شهر 5 عام 1990 حتي شهر 1 عام 1991م من اجل اقناع القيادة العراقية بسحب قواتها وخروجها من الاراضي الكويتية بالعودة الي كل تلك الاحداث نجد ان جميع المحاولات قد باءت بالفشل وبالتالي وصلت الامور الي نقطة كانت فيها الحرب هي الطريقة المثلي, فقد تم انذار القيادة العراقية منذ شهر 9 عام 1990م ومع ذلك وكما فانه من الواجب الاخلاقي ان يتم اختبار جميع الامكانات وبيتم تقدير كل نتائجها المتوقعة, وكانت الاغلبية العالمية من الملاحظين قد توقعوا خروج القوات العراقية من الكويت قبل الموعد

([1])Ibid, P.20.

المحدد اي يوم 15-1-1991م فإن القيادة العراقية بإصرارها علي موقفها قد جعلت الحرب عادلة وشرعية دون ادني شك. ([1])

ثانيا : تطبيق على حرب فلسطين واسرائيل

تُعد الحرب بين إسرائيل وفلسطين من أكثر الصراعات دموية وتعقيدًا في العصر الحديث، وهي ليست حربًا متكافئة بين قوتين، بل صراع غير عادل بين قوة احتلال تمتلك جيشًا متطورًا ودعمًا دوليًا، وشعب أعزل يسعى للحرية وإنهاء الاحتلال. منذ عام 1948 وحتى اليوم، يعاني الشعب الفلسطيني من الاحتلال، التهجير القسري، وممارسات عنصرية تُصنّف وفق تقارير حقوقية دولية ضمن نظام "الأبارتايد". يتجلى عدم العدالة في هذه الحرب من خلال استهداف المدنيين الفلسطينيين، فرض الحصار الخانق على غزة، والتوسع الاستيطاني المستمر في الضفة الغربية والقدس. في المقابل، يُمنع الفلسطينيون من حق العودة إلى أراضيهم الأصلية، وتُسلب حقوقهم الأساسية في الحياة الكريمة. كل هذه الممارسات تحدث في ظل صمت دولي، أو دعم غير مشروط لإسرائيل، ما يزيد من تفاقم الأزمة. الحرب بين إسرائيل وفلسطين ليست مجرد نزاع سياسي، بل مأساة إنسانية مستمرة، تمثل صراعًا بين الظلم والمقاومة، وبين الاحتلال وحق الشعوب في تقرير مصيره.

في ضوء فلسفة مايكل ولتزر ونظريته في "الحرب العادلة"، يمكن تطبيق شروط الحرب العادلة على الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي من خلال تحليل الأركان الثلاثة التي يحددها والتزر: عدالة الدخول في الحرب، وعدالة إدارة الحرب، وعدالة ما بعد الحرب. وسنناقش كل ركن على حدة:

([1])Michael Walzer, War just and unjust wars, P-P15-17.

1 .عدالة الدخول في الحرب(Jus ad bellum)

وفقًا والزر، يحق للدول أن تلجأ إلى الحرب في حال الدفاع عن الحق في الحياة والحرية لأفرادها، ويشترط لذلك:

وجود سبب عادل (مثل الدفاع عن النفس).

نية حسنة (السعي للسلام العادل لا للهيمنة).

احتمالات النجاح.

أن تكون الحرب هي الملاذ الأخير.

التناسب بين الضرر الناجم عن الحرب والنتائج المرجوة

إذا أخذنا حقوق الفلسطينيين في الحياة والحرية في ظل الاحتلال والانتهاكات المستمرة، فإن حقهم في المقاومة المسلحة – ضمن حدود التناسب واحترام المدنيين – يمكن أن يُصنّف كدفاع عن النفس وفق شروط ولتزر، بخاصة إذا لم تعد الوسائل السلمية مجدية.

أما إسرائيل، فإن شنّها للحروب مثل 1948، 1967، أو الاجتياحات المتكررة لغزة، غالبًا ما يفتقر إلى تبرير أخلاقي صريح وفق منظور ولتزر، خصوصًا عندما تتجاوز الدفاع المشروع لتصل إلى احتلال أراضي جديدة أو استهداف بنى تحتية مدنية

2. عدالة إدارة الحرب(Jus in bello)

والزر يشترط في إدارة الحرب:

التمييز بين المدنيين والمقاتلين.

عدم استخدام وسائل شريرة بذاتها (مثل الأسلحة المحرّمة).

التناسب في الرد والعمليات العسكرية

تطبيق على الحرب في غزة مثلاً نجد ان الهجمات التي تستهدف المدنيين في غزة، كقصف المدارس والمستشفيات والمباني السكنية، تنتهك بوضوح مبدأ التمييز ومبدأ التناسب.

استخدام القوة المفرطة من جانب إسرائيل يعكس خللاً كبيرًا في التزام عدالة إدارة الحرب.

3.عدالة ما بعد الحرب(Jus post bellum)

يتطلب هذا الركن:إعادة الإعمار.نزع السلاح بشكل متوازن.تحقيق المصالحة.محاكمة مجرمي الحرب.وضع معاهدة سلام عادلة

الوضع في فلسطين بعد كل حرب:

لا يتم نزع السلاح من الطرفين بشكل متوازن.

لا يُعاد إعمار غزة بشكل فعّال.

لا تُعقد اتفاقيات سلام عادلة.

ولا يُحاسب المسؤولون عن الانتهاكات.

ما يوضح غياب عدالة ما بعد الحرب أيضًا، هو استمرار الحصار والاستيطان والاعتداءات، ما يعني أن النظام ما بعد الحرب لا يسعى للسلام أو العدالة، بل لإدامة الصراع على أسس غير متكافئة

من الملفت أن والزر نفسه متهم بتبني موقف صهيوني متحيز، بحسب ما جاء في الدراسة، حيث يُتهم بتبرير الاستيطان والدفاع عن دولة إسرائيل بوصفها "تجسيدًا للعدالة"، متجاهلًا الانتهاكات التي ترتكبها بحق الفلسطينيين

موقف مايكل والزر من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي يمكن تلخيصه بأنه منحاز بشدة لإسرائيل، ويعكس توجهًا صهيونيًا واضحًا في فلسفته السياسية، لا سيما في إطار مفهوم "الحرب العادلة". إليك شرحًا مفسرًا لموقفه:

1. تبرير وجود إسرائيل

والزر يرى أن لليهود "حقًا تاريخيًا" في فلسطين، مستندًا إلى السردية التوراتية حول خروجهم من مصر واستقرارهم في أرض كنعان، ويعتبر ذلك مصدرًا "شرعيًا" لوجودهم على الأرض الفلسطينية. هذا ما يسميه بـ"الحق في المجتمع"، أي الحق في إقامة مجتمع سياسي مستقر على أرض معينة

2. تبني النموذج الإسرائيلي كأنموذج للعدالة

في كتاباته، لا يفتأ والزر يمجّد إسرائيل ويقدمها كنموذج لدولة العدالة، بحجة أنها – في زعمه – تضمن حق تقرير المصير وتحافظ على "انفصال مجالات العدالة" و"مبادئ العدالة المجملة"

3.تجاهل الجرائم الإسرائيلية وتبريرها

رغم إقراره أحيانًا بضرورة الالتزام بقواعد "عدالة الدخول في الحرب" و"إدارة الحرب"، فإن ولتزر يتجاهل بشكل واضح الانتهاكات الإسرائيلية في فلسطين، مثل مذابح دير ياسين وكفر قاسم، ولم يتطرق إلى محاسبة القادة الإسرائيليين المسؤولين عن تلك الجرائم.([1])

4.ازدواجية المعايير

تُظهر فلسفة والزر مفارقة صارخة؛ فهو يدعو لتطبيق صارم لقواعد العدالة على دول معينة، لكنه يتجاهل تطبيقها على إسرائيل أو الولايات المتحدة. بل ويبرر التدخلات العسكرية الأمريكية في الشرق الأوسط، مع أن مواقفه النظرية تدعو لعدالة متوازنة

كثير من الفلاسفة والنقاد انتقدوا بشدة مواقف والزر، واعتبروها مشوشة ومتناقضة أخلاقيًا، بل ووصفوه بـ"المدافع عن العنف" في حالات كثيرة ويرجع ذلك لان فلسفة والزر، رغم تقديمها لنظرية مثيرة للجدل حول العدالة متعددة المجالات، تنهار عند اختبارها في الواقع الفلسطيني الإسرائيلي، إذ يظهر ولتزر وكأنه يطوّع مفاهيم العدالة لتبرير الاحتلال والسياسات الاستيطانية الصهيونية

- تُظهر دراسة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي من خلال نظرية الحرب العادلة لمايكل والزر
- عدم تحقق شروط الدخول العادل للحرب في كثير من ممارسات إسرائيل.
- خرق واضح لقواعد إدارة الحرب من خلال استهداف المدنيين.
- غياب شبه كامل لعدالة ما بعد الحرب، حيث لا يوجد تصحيح للوضع بل استمرار للهيمنة.

[1] - حمدي عبد الحميد محمد: مفهوم العدالة عند مايكل والزر, رسالة ماجستير, كلية الاداب, جامعة سوهاج, 2012م ، ص 212.

- وهذا يجعل كثيرًا من العمليات العسكرية الإسرائيلية، من منظور ولتزر نفسه إذا طُبقت نظريته دون تحيز، حروبًا غير عادلة.

الإبادة الجماعية في الصراع الفلسطيني–الإسرائيلي في ضوء نظرية مايكل والزر

عند إسقاط النظرية الأخلاقية لمايكل والزر حول الحرب العادلة على الصراع الفلسطيني–الإسرائيلي، تظهر مفارقة أخلاقية عميقة: إذ لطالما بررت إسرائيل أفعالها العسكرية بذريعة الدفاع عن النفس، وهو ما قد يُفهم ضمن شروط "الحرب العادلة" وفق والزر، إلا أن طبيعة السياسات والممارسات على الأرض — خصوصًا في قطاع غزة — تدفع كثيرًا من الفلاسفة والقانونيين إلى التساؤل: هل تجاوزت إسرائيل حدود الدفاع المشروع إلى ما يشبه ممارسات الإبادة الجماعية أو التطهير العرقي؟.

وفقًا لوالزر، فإن التمييز الصارم بين المدنيين والمقاتلين هو أساس أخلاقي لا يمكن التفاوض عليه. وهو ما يظهر بوضوح في قوله:

"It is a crime to kill civilians deliberately; it is a crime even in a just war."

من هذا المنظور، فإن الاستهداف المتكرر للمدنيين الفلسطينيين، سواء عبر القصف الجوي المكثف، أو الحصار الخانق، أو تدمير البنية التحتية المدنية الحيوية (المستشفيات، المدارس، شبكات المياه)، يُعد انتهاكًا مباشرًا لهذا المبدأ الأخلاقي الأساسي. فحتى إن قُبلت فكرة "الحق في الدفاع"، فإن الوسائل المستخدمة تتجاوز بكثير حدود التناسب، وقد تصل — كما يعبّر والزر — إلى "جريمة أخلاقية حتى في حرب عادلة.

بل أكثر من ذلك، فإن بعض الممارسات — مثل الحصار الطويل الأمد على غزة، وتجويع السكان عمدًا، وتدمير المستشفيات، ومنع وصول الإغاثات — تقترب من

تعريف الإبادة الجماعية غير التقليدية، أي التي لا تُمارس بالقتل المباشر فقط، بل من خلال "الحرمان المنهجي من وسائل الحياة"، وهو ما يشير إليه القانون الدولي، كما ورد في المادة الثانية من اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية.(1948)

والزر يؤكد بصرامة أن "الضرورة العسكرية لا تبرر الأفعال التي تُعدّ غير مقبولة أخلاقيًا. هناك حدود يجب ألا تُتجاوز.". وعليه، فإن استخدام القوة بشكل غير متناسب، وغياب أي تمييز فعّال بين المدنيين والمقاتلين، يفضي إلى تحويل الحرب من نزاع مشروع إلى عدوان غير أخلاقي — وهو وصف ينطبق، بحسب الكثير من التحليلات، على السلوك الإسرائيلي في العديد من الحروب على غزة، خصوصًا في الأعوام 2008، 2014، و2023 .

وإذا أخذنا بعين الاعتبار مقولة والزر حول الإبادة:

" "الإبادة الجماعية هي أقصى أشكال إنكار الإنسانية".

فإن السياسات التي تصنّف الفلسطينيين كـ"خطر ديمغرافي"، أو تُبرر استهدافهم الجماعي لأسباب أمنية، تُعبّر عن تشييءٍ خطير للضحايا، وتحويلهم إلى "تهديد يجب التخلص منه" — وهي السمة المركزية للإبادة كما فهمها والزر.

من هنا، فإن قراءة الصراع الفلسطيني–الإسرائيلي من خلال عدسة والزر الأخلاقية لا تسمح بتبرير الجرائم ضد المدنيين، حتى لو ادّعى الطرف الفاعل مشروعية أخلاقية أو قانونية. بل على العكس، تُسهم هذه النظرية في كشف زيف التبريرات الأمنية عندما تتحول إلى أدوات لقمع جماعي، وتُعيد تركيز الخطاب الأخلاقي على الكرامة الإنسانية للضحايا.

يرى مايكل والزر أن الأخلاق لا تقتصر على ساحة المعركة، بل تمتد لتشمل المسؤولية الأخلاقية للمجتمع الدولي تجاه ما يحدث في العالم من انتهاكات جسيمة، خاصة في حالات الحروب غير المتكافئة والفظائع الجماعية. انطلاقًا من هذا التصور، يصبح من الممكن استخدام نظرية والزر كأداة فلسفية لمساءلة صمت المجتمع الدولي أو تقاعسه في الصراع الفلسطيني–الإسرائيلي، خصوصًا في ظل استمرار انتهاكات صارخة للمدنيين الفلسطينيين، وتكرار أنماط سلوكية ترقى إلى جرائم ضد الإنسانية .

والزر، وإن كان يكتب من داخل الثقافة الغربية، إلا أنه لم يتردد في نقد المعايير المزدوجة في السياسة الدولية، ورفض تبرير الصمت الدولي عن الظلم بحجة التعقيدات الجيوسياسية أو اعتبارات المصالح القومية. في هذا الإطار، يشدد على أن:

"المساواة الأخلاقية بين الجنود تعني المساواة الأخلاقية بين الضحايا. فإذا كنا نرثي موتانا، فلا يحق لنا أن نتجاهل موتاهم".

هنا، يُنتقد بوضوح موقف الدول الغربية التي تُدين الخسائر في صفوف الإسرائيليين، بينما تبرر أو تتغاضى عن قتل الآلاف من المدنيين الفلسطينيين، أو تُعيق التحقيقات الدولية، أو تستخدم الفيتو لمنع محاسبة عادلة.

والزر يرفض أيضًا فكرة الحياد الأخلاقي في وجه الجرائم الكبرى، مؤكدًا أن الصمت أو الامتناع عن التدخل هو في حد ذاته موقف أخلاقي سلبي له عواقب. وهو يذهب إلى أن المسؤولية لا تقتصر على من يرتكب الجريمة، بل تمتد إلى من يشاهد ويسكت. من هذا المنطلق، يمكن القول إن المجتمع الدولي — لا سيما في المنظمات الكبرى كالأمم المتحدة ومجلس الأمن — يتحمل مسؤولية مزدوجة: أولًا، في الوقاية من الإبادة؛ وثانيًا، في التحرك العادل حين تقع.

وفي ضوء ما حدث مرارًا في غزة من حصار وتجويع وقصف عشوائي وتدمير شامل للبنى المدنية، يصبح الصمت الدولي أو الاكتفاء بـ"القلق" و"الدعوة لضبط النفس"، بمثابة تواطؤ أخلاقي ضمني. فبحسب منطق وولتزر، هناك "حدود لا يجوز للعالم أن يقف عندها متفرجًا، وإلا كان جزءًا من الجريمة بصمته."

إضافة إلى ذلك، يرفض والزر المنطق الواقعي (Realpolitik) الذي يتذرع به الساسة لتبرير دعمهم غير المشروط لحلفائهم مهما ارتكبوا من فظائع. وهو ما ينطبق مباشرة على موقف بعض الدول الكبرى التي تقدم دعمًا دبلوماسيًا وعسكريًا لإسرائيل، متجاهلةً نتائج ذلك على الأرض من ناحية الضحايا المدنيين.

من خلال هذا الفهم، يُصبح فكر والزر أداة نقدية قوية لمساءلة البُنى الدولية التي تدّعي الدفاع عن القانون وحقوق الإنسان، لكنها تفشل في تطبيقها عندما تتعارض مع مصالحها. وهنا لا يُعدّ والزر فقط ناقدًا للاحتلال أو لسياسات القوة، بل أيضًا مرآة أخلاقية للمجتمع الدولي نفسه، تكشف نفاقه أو تردده في اللحظة التي تتطلب الحسم .

.

الخاتمة

إنّ البحث في "أخلاق الحرب العادلة عند مايكل والزر" لا يُعد مجرد تمرينٍ فلسفي أو تنظير أخلاقي معزول، بل هو استكشاف لجملة من التناقضات العميقة التي تطبع التجربة الإنسانية، حين تختبر القيم في لحظات القتال والدماء والانتهاك. لقد حاول والزر، عبر مشروعه الفكري، أن يؤسس لمعادلة شائكة تجمع بين الواقعية السياسية من جهة، والمثالية الأخلاقية من جهة أخرى، واضعًا نصب عينيه أن الحروب ليست كلها سواء، وأن ثمة فرقًا

جوهريًا بين الحرب العدوانية والحرب الدفاعية، بين من يبدأ القتال ومن يُجبر على خوضه.

غير أن التحليل النقدي لمواقف والزر، خصوصًا في مواقفه من الصراعات غير المتكافئة كالصراع الفلسطيني–الإسرائيلي، يكشف عن فجوة بين تنظيره الأخلاقي وممارسته التطبيقية. إذ يبدو أحيانًا أن "العدالة" عنده مفهوم مرن، يُعاد تشكيله وفق مصالح القوى الكبرى أو الروايات السائدة، حتى وإن كان ذلك على حساب الشعوب المستضعفة. ومع أن نظرية الحرب العادلة تُفترض أن تكون معيارًا موضوعيًا لتقييم السلوك العسكري، فإن استخدامها قد يتحول بسهولة إلى غطاء أيديولوجي يبرر الحروب لا يحدّ منها.

في خضم ذلك، يتأكد لنا أن جوهر الأزمة ليس فقط في غياب المعايير، بل في ازدواجية تطبيقها، وفي صمت العالم أمام المآسي التي ترتكب باسم "الضرورة العسكرية" أو "الحق في الدفاع". وهو ما يجعلنا نعيد التساؤل: هل يمكن فعلاً أن تكون الحرب عادلة في عالم يُدار بمنطق الهيمنة والمصالح؟ وهل يستطيع أي إطار أخلاقي الصمود أمام جبروت القوة وعنف الدولة؟

رغم هذه الإشكاليات، فإن أهمية نظرية والزر تكمن في كونها تضع الأخلاق في قلب النقاش السياسي والعسكري، وتجعل من الممكن – على الأقل نظريًا – مساءلة الحروب ومحاسبة مرتكبيها. كما تفتح الباب أمام الفكر الفلسفي

ليكون أداة للمقاومة، ورافعة لإعادة الاعتبار لقيمة الإنسان في زمن أصبحت فيه الحروب تُدار كأنها صفقات أو استعراضات قوة.

ختامًا، فإن العدالة في الحروب لا تتحقق بمجرد صدور فتوى أخلاقية من فيلسوف أو سياسي، بل تتحقق عندما يُعاد بناء العالم على أسس من الكرامة والحرية والمساواة. وهنا، يبرز دور الفلسفة والفكر النقدي لا في تبرير الواقع، بل في تعريته، ومواجهة منطق القوة بمنطق الإنسانية.

وفي السياق العربي، تبرز القضية الفلسطينية بوصفها الاختبار الأكثر وضوحًا لفشل تطبيق معايير "الحرب العادلة" كما نظر لها مايكل والزر. فالفلسطيني الذي يعيش تحت الاحتلال منذ عقود، لا يُمنح فقط حق المقاومة، بل يُجرَّد حتى من توصيفه كضحية، في خطاب دولي يخلط بين الجلاد والضحية، ويُكيّف المعايير الأخلاقية لخدمة مصالح سياسية واضحة. إنّ الواقع القائم في فلسطين يكشف عن عجز الفلسفة الأخلاقية الغربية – بتياراتها المختلفة – عن تجاوز مرجعياتها الإمبريالية، ويضع أمامنا نحن، كعرب، مسؤولية مضاعفة: ليس فقط في مقاومة الاحتلال، بل في إنتاج خطاب أخلاقي جديد، ينبع من واقعنا وتاريخنا، ويعيد الاعتبار للعدالة لا كمفهوم تجريدي، بل كحقّ أصيل لشعوبنا في التحرر والحياة بكرامة.

المراجع العربية:

1- ابن خلدون: المقدمة, ط2,دار الكتاب اللبناني, بيروت, لبنان, 1961م.

2- ابن منظور: لسان العرب, المجلدالاول, دار صادر, بيروت لبنان, د.ب.

3- امام عبد الفتاح امام: الاخلاق والسياسة " دراسة في فلسفة الحكم",المجلس الاعلي للثقافة, القاهرة, 2002م.

4- ايمانويل كانط: مشروع سلام دائم, محاولة فلسفية, ترجمة نبيل الخوري, دار صادر, بيروت, 1985م.

5- ايمانويل كانط: تأملات في التربية, ترجمة محمود بن جماعة, دار محمد علي الحامي للنشر, صفاقس, 2005م.

6- ايمانويل كانط: مشروع للسلام الدائم, ترجمة/ عثمان امين,الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, 2006م.

7- جلين تيندر: الفكرالسياسي,الاسئلة الابدية, ترجمه/ محمد مصطفي غنيم, ط1, الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية, القاهرة, 1993م.

8- جميل حمداوي:هل هناك حرب عدالة؟,كتاب الاصلاح, الكتاب الرابع عشر, 2016م.

9- جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة, دار الطليعة, بيروت, 1987م.

10- حسين سعيد: الموسوعة الثقافية, مؤسسة فراكلين للطباعة والنشر, القاهرة, 1972م.

11- حمدي عبد الحميد محمد: مفهوم العدالة عند مايكل والزر, رسالة ماجستير (غير منشورة), كلية الاداب, جامعة سوهاج, 2012م.

12- شمامة خير الدين : الحرب بين التحريم والتقنين, مجلة سياسات عربية, العدد التاسع, الدولة, 2014م.

13- عبد الرحمن بدوي: نيتشه, خلاصة الفكر الاوروبي, سلسلة الفلاسفة , ط5, وكالة المطبوعات, الكويت, 1975م.

14-عبد الرحمن بدوي: ايمانويل كانط فلسفة القانون والسياسة, الكويت, وكالة المطبوعات, 1979م.

15- عبد الله نصار: مدخل الي نظرية الحرب العادلة, عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية , القاهرة, 1993م.

16- فؤاد زكريا: نيتشة, ط3, دار المعارف, القاهرة , 1991م.

17-قاموس الفكر السياسي: ج1, مجموعة من المختصين,ترجمة: انطوان حمصي, منشورات وزارة الثقافة , دمشق, 1994.

18-كوين تنسكنر: اسس الفكر السياسي الحديث, الجزءالاول, عصر النهضة, ترجمة : حيدر حاج اسماعيل, المنظمة العربية للترجمة, بيروت, لبنان, 2012م.

19-مجدي عبد الحافظ: الاخلاق بين القيم والممارسة التطبيقية, مقالة في كتاب, مصطفي النشار, وآخرين, (الفلسفة التطبيقية) الفلسفة لخدمة قضايانا القومية في ظل التحديات المعاصرة, الدار المصرية السعودية, القاهرة, 2005م.

20-محمد سامي عبد الحميد: قانون الحرب, ط2, دار المطبوعات الجامعية, الاسكندرية, 2007م.

21-مراد وهبة: المعجم الفلسفي,دار قباء الحديثة, القاهرة, 2007م.

22-ميكافيللي: الامير, ترجمة فاروق سعد, منشورات دار الاتفاق الجديدة, بيروت, لبنان, 1979م.

23-نيتشة: هكذا تكلم زرادشت,الانتصار علي الذات, ترجمة فيلكسفارس, دارالقلم, بيروت لبنان, ب.ت.

24-نيتشه: العالم المرح , ترجمة حسان بوريقية ومحمد الناجي, أفريقيا الشرق, الدار البيضاء, د.ب

25-وليام, ل.:مقدمة في علم الأخلاق, ترجمة: عبد المعطي محمد,ط2, منشأة المعارف,الإسكندرية, 2000م.

المراجع الاجنبية:

1- Aleksander Jokic: «what's a just war theorists ?». Journal of theological and philosophical Criminology .Vol 4 (2), July 2012.

2- Brain orend: the Morality of War, Peterbrough, Broadview press, 2006.

3- C.A. J Coady: «The ethics of armed humanitarian intervention». Washington : United States institute of peace, 1 st published, July 2002.

4- David Blankehorn and other signatories: «What we're fighting for a letter from America». U.S. A: Institute for American values, 2002.

5- Michael Walzer: «Political action: The problem of dirty hands». Philosophy and public affairs, Volume 2, Issue 2, Winter 1973.

6- M, walzar, arguing about War, New York, Haven Yale Universality Press, 2004.

7- Michael Walzer, War just and unjust wars, Basic Books in, New York, 2006.

8- Michael walzer: just and unjust wars a moral argument with historical illustrations new York basic books.

9- Nietzsche, F: The will of power, Trans, by : W. Kaufman and R.J. Hollingadable, Random House, Inc, Vintage Books ed. New York , 1968.

10- Ronan O Callaghan :Ethics as `Response: A Critical Analysis of Michael Walzer's Just War Theory in the Context of Ira, Doctor of Philosophy, Faculty of Humanities, University of Manchester,2013.

مواقع الانترنت

1- https://cutt.us/i70Se

2- https://cutt.us/xLtDy

3- https://cutt.us/3mVZQ

4- https://cutt.us/70tex